الباب الأول
المنهج المعرفي في الإسلام

الفصل الأول : عقل المنهج اللساني واللغوي العربي

الفصل الثاني: عقل المنهج المعرفي القرآني

obeikandl.com

الفصل الأول

عقل المنهج اللساني واللغوي العربي

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم على الرسول محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وهو من العرب موطناً ولساناً وقوماً، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقائق التاريخية في أكثر من موضع، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[3].

ولسان القوم هو الكلام المستعمل بينهم، إذ لا يكون الإنذار ولا البيان ولا التذكير إلا بالكلام المفهوم والمعقول للناس، في مستواه الفردي والاجتماعي، فقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾[4]، ومعنى عربياً أي واضحاً لا غموض فيه[5]، ولذلك بين الله تعالى أنه أنزله قرآناً عربياً، وصرف فيه من الوعيد لعلهم يتقون، فغاية القرآن أن يعلم الناس ما فيه تقواهم أي ما فيه نجاتهم في الدنيا والآخرة، وحتى يكون لهم فيه ذكر كلما قرؤوه، وتذكير كلما نسوه.

وقد نص المولى عز وجل على الغاية من نزول القرآن الكريم عربياً في أكثر من آية، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا

---

(1) سورة: إبراهيم، رقم الآية: (4).

(2) سورة: الزخرف، رقم الآية: (44).

(3) سورة: الشورى، رقم الآية: (7).

(4) سورة: طه، رقم الآية: (113).

(5) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 766.

(6) سورة: يوسف، رقم الآية: (2).

عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]، أي حتى يعرف ويدرك ويفهم ويعقل وهو في الصيغ اللفظية المسموعة أو المكتوبة، ويتحول إلى عقل مكون لعقل الإنسان الكلي، لأن العقل عند الإنسان بنية معان حسية وعلمية وبيانية[2]، والعقل الاجتماعي هو عقل ذلك المجتمع، أي ما تتكون منه بنية معانيهم وقيمهم وعلومهم وثقافتهم وعاداتهم التراثية والمعاصرة، وعقل الإنسان أي بنية معانيه منها ما يتكون بالقراءة الإنسانية للكون والطبيعة، ومنها ما يتكون من التعليم والقراءة الخاصة والعامة.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾[3]، في هذه الآية من سورة الرعد يصف الله تبارك وتعالى إنزال القرآن بأنه حكم عربي، أي هو قانون واضح، حتى يحكم الناس به أنفسهم، من غير تشويه ولا اختلاف ولا تعارض ولا تناقض، فهو بمعنى الحكم الواضح الذي لا يختلف فيه ولا يتنازع عليه، وأداة فهمه اللسان العربي، ومعنى كلمة العروبة من الوضوح التام والإبانة والإفصاح، وكذلك القرآن فقد وصفه الله تعالى عربيا أي واضحاً بيناً.

وأما أنه عربي، أي باللسان العربي فدليله في الآيات التي جاءت كلمة العروبة مقرونة باللسان، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[5].

وحيث لم تقرن كلمة العروبة باللسان فالمعنى المقصود أنه واضح جلي، حتى يسهل فهمه وتدبره لكل الناس الذي يتكلمون ويفهمون اللسان العربي، والعلة في ذلك حتى يعقلوه، أي حتى يفهموا معاني كلماته فتتحول من معان كلامية إلى معان عقلية، إذ العقل

---

(1) سورة: الزخرف، رقم الآية: (3).

(2) حول تعريف العقل: انظر كتاب فهم الإنسان «النظرة المعرفية العربية» تأليف عمران سميح نزال، نشر دار قتيبة للنشر في سورية ودار القراء للنشر في الأردن، الطبعة الثانية 2002م.

(3) سورة: الرعد، رقم الآية: (37).

(4) سورة: الأحقاف، رقم الآية: (12).

(5) سورة: النحل، رقم الآية: (103).

بنية معان، فلو لم يكن القرآن واضحا لما فهم الناس معاني كلماته وآياته وسوره، وإذا لم يعقلوه أي يدركوا معانيه ويمسكوها فلن تتكون في عقولهم، فالله أنزل القرآن الكريم واضحاً حتى يفهمه الناس بيسر ودون مشقة، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم مؤكداً عليه في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1]، فالوضوح والتيسير من الله حتى يعقل الإنسان عن ربه كلامه، وقد ضرب الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم الأمثال زيادة في التوضيح والبيان والفهم، ونفى عنه العوج حتى لا يكون الاعوجاج منه ولا سبباً له، وجعله قيماً، فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا ... ﴾[2].

وحيث إن معاني أي لسان هي جزء من معان اجتماعية لفئة من الناس تتحول مع الزمن إلى لغة، أي تتحول من المعاني اللسانية المتداولة في زمن ما إلى معان اجتماعية وقومية ولغوية تنتسب إلى قوم[3]، فقد تحول الكثير من المعاني اللسانية إلى اللغة العربية، وعلى أساسها وبسببها صنفت المعاجم اللغوية العربية، وقد دونت المعاني اللسانية واللغوية بعد قرون من تاريخ نزول القرآن الكريم، وبالأخص ما كتب في عصر التدوين في القرنين الثالث والرابع للهجرة، أي إنَّ المعاني اللغوية في الغالب مرحلة متطورة عن المعاني اللسانية، المعاني اللسانية كانت متزامنة مع تاريخ نزول القرآن الكريم والعصر النبوي وعصر الراشدين، ولذا تتميز المعاني اللغوية باعتمادها على معاجم اللغة وكتب فقه اللغة وقواعد النحو وأساليب البيان التي دونها علماء اللغة الأوائل.

إن هذه الأفكار توجب على كل مسلم أن يتفكر بالمعاني اللسانية التي نزل بها القرآن الكريم، وذلك بتدبر القرآن الكريم مباشرة وليس من كتب التفسير فقط، أي أَنْ يجمع بين القراءتين، القراءة التراثية والقراءة العلمية الحرة، وأن يتعلم اللغة العربية المدونة في كتب اللغة المعتمدة، حتى تكون عبادته لله تبارك وتعالى عبادة علمية أولاً، وعبادة عملية ثانياً، وأما من يتصدرون لتفسير القرآن الكريم وبيان مسائله للناس، فينبغي عليهم أن يتفكروا في مناهج القرآن الكريم المعرفية وكيف يعرض قضاياه، وان يتفكروا بأصول

---

(1) سورة: القمر، رقم الآية: (17).

(2) سورة: الكهف، رقم الآية: (1).

(3) انظر: خصائص اللغة العربية، ابن جني، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الرابعة، بغداد، 1/ 34.

اللسان العربي وأساليبه التي نزل بها القرآن الكريم عربياً، وأن يتعلموا أقسام الكلام في اللسان العربي، وأساليب نظمه في اللسان العربي وفي القرآن الكريم، فهذا مدخل معرفي وعلمي لفهم القرآن الكريم، ومنهج معرفي وعقلي لفهم كل قضية إنسانية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، دعا إليها القرآن الكريم إثباتاً أو نفياً، فاللغة أساس العلم والفقه.

obeikandl.com

الفصل الثاني

عقل المنهج المعرفي القرآني

للقرآن الكريم مناهج مميزة في تناول القضايا وعرضها وتحليلها وتقويمها وعلاجها، ومن أهم هذه المناهج مناهج الخطاب القرآني، أي مناهج التخاطب مع الناس وطرق إقناعهم بالإسلام، بعض هذه المناهج استعملها القرآن الكريم في خطابه علمياً وعملياً دون أن يدعو إليها كمنهج خطابي، وبعضها أمر بها وحث على تداولها واستعمالها بين الناس كمنهج خطابي، وبالأخص في أساليب الدعوة إلى الإسلام، هذه المناهج معرفية بالدرجة الأولى، لأن الإنسان المخاطب هو مخلوق قارئ[1]، أي هو إنسان مستقبل للمعرفة ومرسل لها، والمناهج المعرفية تهدف إلى تعليم الإنسان والناس المناهج الصحيحة في التخاطب والمحاورة، وغايتها إحداث القناعة بصحة الهداية الإسلامية بحرية وإرادة حقيقية.

إن تحقيق الغاية في الهداية يتطلب تحقيق القناعة في الإنسان والناس بحرية ودون إكراه، ولذا فإن أكثر ما تركز عليه هذه المناهج هو كيفية دعوة الناس إلى المفاهيم الصحيحة أولاً، وفي كيفية تحذيرهم من المفاهيم الخاطئة ثانياً، فاستعملت المناهج المعرفية التي يفهمها الناس ويستوعبونها وتؤدي إلى النتائج الصحيحة، فإذا تحقق ذلك فقد عُقل المنهج المعرفي القرآني فعلاً، أي إنَّ عقل المنهج المعرفي القرآني يعني أن الإنسان قد أدرك غايات الخطاب القرآني، وتبين له الرشد من الغي، وهدي إلى صراط مستقيم، علمياً وعملياً، فردياً وجماعياً.

وبالرغم من وضوح هذه المناهج المعرفية في القرآن الكريم وكثرة التركيز عليها، إلا أن التصنيف فيها لم يأخذ حقه في التاريخ الفكري والعلمي عند المسلمين، إذ تم التركيز على التأصيل الفقهي أكثر من غيره في التراث الأصولي الإسلامي، فصنف الكثير من كتب أصول

---

(1) انظر: كتاب فهم الإنسان «النظرة المعرفية العربية» عمران سميح نزال، ص209.

الفقه، وبالرغم من كثرة التأليف في كتب التوحيد وأصول الدين والعقائد الإسلامية إلا أن التأصيل المعرفي لها كان قليلاً، والتأصيل المعرفي لعلم الكلام أو الفلسفة الإسلامية بالرغم من قلته أيضاً، إلا أنه لم يستطع أن يثبت نفسه علماً إسلامياً أصيلاً[1].

وقضية مثل «حرية الرأي» في الإسلام لا بد قبل تناولها من الإشارة ولو باختصار إلى التأصيل المنهجي المعرفي العام في القرآن الكريم، ومن ثم محاولة تطبيقه على كل مسألة بعينها، وبالأخص في كيفية دعوة الناس إلى الحرية، وكيفية حث المسلمين على حرية الرأي أو موقفهم منها، فالمنهج المعرفي القرآني منهج عام، ولكنه خاص في تناول كل قضية بعينها، المنهج العام هو المنهج الذي عرض القرآن الكريم به قضاياه الفكرية والعقدية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وعندما يستعمل منهجاً خاصاً في قضية بعينها، فذلك بسبب طبيعة تلك القضية في أبعادها المعرفية الإنسانية أو العقلية الاجتماعية أو العلمية السياسية.

إن معرفة المنهج المعرفي أصل أساسي في فهم الإسلام، لا يقل أهمية عن أصول الفقه للفقيه، ولا أصول علم الحديث للمحدث، ولا أصول النحو للغوي وهكذا، فمن خلال معرفة هذه المناهج المعرفية والعلمية نتبين كيف تناول القرآن الكريم قضاياه الإنسانية الفكرية إيجاباً أو سلباً، أي إثباتاً أو نفياً، أي عن طريق الدعوة إليها مباشرة أو بنقضها، أو بنقض نواقضها، لأن نقض النقائض إثبات للحقائق، ونفي النفي إثبات، وبهذه المناهج يمكن فهم هذه القضايا بالصورة الحقيقية والمعاني الصحيحة، وقبل عرض هذه المناهج نذكر أن عرضها مفصلة لا يعني أنها مناهج معزولة عن بعضها، أو أن كل منهج يعمل بمفرده فقط، بل تعمل متفرقة ومجتمعة كلها أو بعضاً منها، وهذا ما سوف نتبينه من دراسة السور والآيات التي وردت فيها، فالتفصيل للبيان وليس للعزل أو التفريق أو التباين، ومن هذه المناهج المعرفية القرآنية:

منهج البلاغ:

البلاغ لغة هو الوصول، قال أهل اللغة: (بلغ: الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء: تقول بلغ المكان، إذا وصلت إليه)[2]، وقيل: البلوغ

(1) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب المرحوم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، كتاب المنطق، 9/ 82.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 153.

والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدرة[1].

والبلاغ في القرآن الكريم إما إيصال رسالة إلى المرسل إليه بغض النظر عن الجواب، إذ تنتهي المسؤولية عند إيصال الرسالة، وهي بمعنى تقديم النصيحة، وإما أن التبليغ إقامة الحجة على المرسل إليهم، بمعنى أداء الأمانة وتحمل المسؤولية، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة منها:

1 ـ بلاغ إيصال الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

هذا المنهج المعرفي البلاغي في إيصال الرسالة لا يقوم إلا على الحرية، وبالأخص حرية الرأي، لأن النبي عندما يبعث في قومه ويؤمر بإبلاغ رسالة فإن ذلك لا يتم إلا إذا وجدت حرية الرأي، فإن لم توجد فإن على النبي أن يجاهد من أجل إيجادها، أي من أجل إيجاد الجو الفكري الحر الذي يحتاجه لإبلاغ رسالته بحرية، فحرية الرأي في هذه المرحلة سلاحه المنهجي الوحيد، ولذا فإن النبي مطالب أن يدعو قومه إلى احترام حرية الرأي والاحتكام إليها، لأن الحرية قيمة عظيمة ومهمة في دعوته، فقضية الأنبياء والرسل في

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 144.

(2) سورة: الأعراف.

(3) سورة: الرعد، رقم الآية: (40).

(4) سورة: الأحزاب، رقم الآية: (39).

(5) سورة: المائدة، رقم الآية: (67).

المنهجية المعرفية هي قضية الحرية، حتى يتمكنوا من إبلاغ رسالتهم، وأتباعهم من بعدهم مطالبون أن يبذلوا كل ما يستطيعون من أجل نشر الحرية بين الناس حتى يتمكنوا من دعوة الناس إلى الخير.

2 ـ بلاغ إقامة الحجة:

المعنى الآخر للبلاغ هو إقامة الحجة، وهو أن المبلغ يوصل الرسالة، والمبَلَّغ، أي المرسل إليه يتحمل مسؤولية ما بلغ به، أي إنَّ البلاغ الثاني يتضمن البلاغ الأول، لأن في البلاغ المبين إقامة الحجة التامة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَٰغُ .. ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَٰبِ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَٰتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾[6].

وقال تعالى في سورة النور: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴾[7]، وقال تعالى:

---

(1) سورة: الأنبياء، رقم الآية: (106).

(2) سورة: يس، رقم الآية: (16-17).

(3) سورة: الشورى، رقم الآية: (48).

(4) سورة: الأحقاف، رقم الآية: (35).

(5) سورة: إبراهيم، رقم الآية: (52).

(6) سورة: آل عمران، رقم الآية: (19-20).

(7) سورة: النور، رقم الآية: (54).

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾.. ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2].

نقرأ في هذه الآيات الكريمة معانيَ كثيرة عن مفهوم البلاغ في القرآن الكريم، منها أن الله تبارك وتعالى جعل البلاغ من وظائف كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن معناه هو بمفهوم عرض الأفكار على الآخرين دون محاسبتهم عليها من قبل الرسل، سواء استجاب الناس لهذا البلاغ أم لم يستجيبوا، فالثواب والعقاب من الله تعالى وليس من الرسل، ودور الرسل في البلاغ لا يفقد الإنسان اختياره ولا قراره ولا حريته، فالبلاغ والتبليغ منهج معرفي قرآني في إيصال المعلومات من الله تبارك وتعالى إلى الناس، دون أن يكون في معناه اللغوي ولا في ممارسته العملية أي إكراه.

منهج البيان:

البيان منهج معرفي قرآني استعمله كل الأنبياء والرسل، فما من نبي ولا رسول إلا جاء قومه وأمته بالبيان والبينات، والبيان فعل توضيح وإظهار وشرح، والبينات جمع بينة، والبينة بمعنى الحجة العقلية مثل معنى الآية، أي الدليل الذي يقيم الحجة القاطعة أولاً، فهو بيان للحقيقة بحيثُ لا يبقى للمقابل حجة مقابلة، ولذا تستعمل البينة للتحدي ثانياً، وذلك بمقابلة الآخر أن يأتي بمثلها، بهدف إقامة الحجة على الناس، وقد استبدل الفكر الإسلامي التراثي هذا اللفظ والمعنى بكلمة أخرى هي كلمة المعجزة، علماً بأن كلمة المعجزة ليست كلمة قرآنية ولا نبوية.

والمعنى الذي نفضله لكلمة البينة هو الشرح والتوضيح ورفع اللبس والغموض، لأنه المعنى اللغوي والقرآني معاً، فالبيان إما حجة عقلية وإما شرح وتفصيل ورفع لبس أو غموض، وفي مصطلح القرآن الكريم البينة هي بيان الهدى والحق والرشد وما يأخذ عند فعله حكم الحلال، وما بعده فهو ضلال وباطل وبغي وحرام، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

---

(1) سورة: التغابن، رقم الآية: (12).

(2) سورة: المائدة.

﴿ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، فقرار الكفر أو الإيمان يتخذه الإنسان بنفسه ودون إكراه من أحد، ودور الإسلام هو في بيان الرشد من الغي ـ رحمة من الله تعالى ـ حتى يكون قرار الإنسان معرفياً وعقلياً وعلمياً.

1 ـ تبين الرشد:

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.. ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.. ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[5].

وقال تعالى في سورة البقرة المدنية: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة: البقرة، رقم الآية (256).
(2) سورة: فاطر، رقم الآية (25).
(3) سورة: مريم، رقم الآية (73).
(4) سورة: فصلت.
(5) سورة: النحل.
(6) سورة: آل عمران، رقم الآية (138).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞۚ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾[2].

2 ـ «تبين» الغي:

الأصل هو بيان الهدى والحق والرشد، وبيان الأصل يكشف عن ضده ونقيضه، والكشف بيان بالمعنى العقلي، لأن من تبين له الرشد فقد استبان بنفسه سبيل المجرمين وهو سبيل الغي، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾[4].

إن في المنهج المعرفي البياني أكبر دليل على حرية الرأي في الإسلام، فالمنهج البياني يكشف عن منهج القرآن العام، وأنه يقوم على بيان الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال، والنتيجة لا إكراه في الدين من بعد ما تبين الرشد من الغي، أي إنَّ البيان دليل نظري على حرية الدين والاعتقاد والرأي، وكلا المعنيين للبينة دليل على أن المنهج المعرفي أساس التخاطب مع الناس، وليس الإكراه ولا الجبر، وأن الناس دائماً أحرار في مقابلة البينة بالإيمان أو بالكفر، فالبينة ملزمة عقلياً ومعنوياً ونظرياً، وغير ملزمة عملياً بدليل وجود من يختار الغي بدل الرشد، والكفر بدل الإيمان.

منهج التعليم:

يقوم هذا المنهج المعرفي على تعليم الإنسان والناس والمسلمين والمؤمنين القيم الصحيحة عن طريق إنزالها وحياً من الله تعالى، وبياناً نبوياً من النبي عليه الصلاة والسلام، وقد تحقق هذا المنهج بتعليم النبي عليه الصلاة والسلام أولاً، كما في قوله تعالى:

---

(1) سورة: النساء، رقم الآية (115).

(2) سورة: البينة.

(3) سورة: الأنعام، رقم الآية (55).

(4) سورة: محمد، رقم الآية (25).

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[1].

وقد تحقق هذا المنهج ثانياً في تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام في هدايته للناس تلاوة وبياناً، وتعليمه للمؤمنين كتاباً وحكمة، أي على نوعين:

1 ـ **تعليم الكتاب**: هو بيان الحق والصواب وما ينبغي تصديقه وفعله، ويأخذ فعله حكم الحلال وأجره فلاح الدنيا وفوز الآخرة.

2 ـ **تعليم الحكمة**: هو كشف الباطل والخطأ وكشف ما ينبغي تكذيبه وتركه، وما يأخذ فعله حكم الحرام، وجزاؤه خسران الدنيا وعذاب الآخرة.

والتعليم جزء من البيان، أو فرع عنه، والفارق بينهما هو أن البيان عام للناس كافة، المؤمن وغير المؤمن، بينما التعليم خاص بالمؤمنين، وأدلة تعليم الكتاب هي أدلة تعليم الحكمة في الآيات القرآنية، كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾[3].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[4].

وقد جاء تعريف الحكمة في القرآن الكريم في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾، وقد جاءت هذه الآية بعد آيات كثيرة بينت الأمور التي نهى القرآن الكريم عنها، مثل الشرك وعدم العبادة إلا لله تعالى، وعدم الإساءة للوالدين، وعدم التبذير، وعدم البخل، وعدم قتل الأولاد خشية الإملاق، وعدم الزنا، وعدم قتل النفس إلا بالحق، وعدم قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، والوفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم، وعدم

---

(1) سورة: النجم.

(2) سورة: البقرة، رقم الآية (129).

(3) سورة: آل عمران، رقم الآية (164).

(4) سورة: الجمعة، رقم الآية (2).

الاقتفاء إلا بعلم، وعدم المشي في الأرض مرحاً، وبعد ذكر كل هذه المنهيات المسبوقة لغة بأداة النهي «لا» جاءت الآية السابقة من سورة الإسراء تبين أن الحكمة هي مفارقة هذه المنهيات، فتعليم ما هي المنهيات والممنوعات هي من الحكمة، وعدم ارتكاب المحرمات هي الحكمة، ولكن قرار الفعل يصدر من الإنسان، فالإنسان هو من يعمل الفعل الذي جاء به العلم، أو ينتهي عن الفعل الذي جاءت به الحكمة، فالعلم والحكمة منهج معرفي، والفعل الإنساني يوافق أو يخالف بإرادته، أي إنَّ التعليم هو من باب الهداية والرشد، والحكمة من باب معالجة أصل الداء، بالقضاء على علل المرض، والتعليم أصل الدواء بالقضاء على علل الجهل، وكلا المنهجين: العلم والحكمة، لا يفقد الإنسان حقه وحريته بالقبول أو الرفض، بالموافقة أو الاعتراض.

منهج التزكية:

التزكية منهج معرفي قرآني، ومعنى التزكية النماء والطهارة، وهو في الأمور المعرفية والمعنوية حث على نماء المعرفة التي تهذب الأخلاق والتحلي بها لحسنها، سواء كانت أخلاقاً حسنة في حياة الإنسان الفردية، أو أخلاقاً حسنة في حياة الناس الجماعية، والزكاة في الأمور المادية إيتاء الغني ما عليه من حق للفقير بإحسان، والثاني لا يخرج عن الأول، أي إنَّ الزكاة المعنوية أصل للزكاة المادية، ولذلك حثت السور المكية الأولى على الزكاة المعنوية وتهذيب الأخلاق، تأسيساً للزكاة المادية المالية التي تبني المجتمع وتقيم الدولة.

1 ـ التزكية الفردية:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[3].

---

(1) سورة: الأعلى، رقم الآية (14).

(2) سورة: الليل.

(3) سورة: الشمس.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[1].

2 ـ التزكية الجماعية:

قال الله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3].

نقرأ في هذه الآيات الكريمة منهجاً معرفياً قرآنياً، يحث على التزكية بالمعنيين المعنوي الأخلاقي والمادي المالي، في بعديها الفردي الشخصي والجماعي الاجتماعي، فهذه إشارة إلى أن التزكية الجماعية فعل ذاتي ومطلب تعليمي يتحلى به الإنسان بمفرده، وتلتزمه الأمة المسلمة والمجتمع المؤمن طواعية، وتعليم التزكية والحث عليها لا يفقد الإنسان حريته، بل يوجهها إلى ما يجملها ولا يشينها، فمنهج التزكية منهج معرفي عملي وليس علمياً فقط، أي لا يتحقق إلا في الواقع المحسوس في سلوك الفرد وسلوك الجماعة، وهذه ميزة من مميزات المناهج المعرفية القرآنية، وهي عدم توقفها عند الحدود المعرفية المعنوية فقط، بل لا بد أن يصدق العلم العمل.

منهج السؤال:

السؤال منهج معرفي كثير الورود في القرآن الكريم، استعمله القرآن في السور المكية سؤالاً فكرياً يحرك العقول ويبين المجهول، واستعمله في السور المدنية منهجاً معرفياً في التشريع والتعليم، وقد ورد السؤال والاستفسار في القرآن الكريم من وإلى الأنبياء وقومهم، ومن وإلى المؤمنين والكفار أفراداً وطوائف، والغاية من السؤال هي إثبات الحق والمعرفة النافعة للناس، سواء بالإجابة المباشرة أو عن طريق تفسير ظاهرة كونية أو بيان فائدة وجودها في الطبيعة.

---

(1) سورة: فاطر، رقم الآية (18).

(2) سورة: المزمل، رقم الآية (20).

(3) سورة: الجمعة، رقم الآية (2).

1 ـ السؤال الفكري:

توجه القرآن الكريم في بيان ضوابط السؤال الفكري، وهو أنه لا يجوز التكهن بمعرفة الغيب من غير دليل، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، ومن الأسئلة التي أثارها القرآن الكريم بقصد إثباتها، السؤال عن يوم القيامة وعن الساعة، فقال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[4]، وسأل عن الطبيعة فقال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[5].

وأما السؤال عما لا يدرك فقد أجاب عنه القرآن بما ينفع ويعلم، فقال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[6]، وكذلك أجاب القرآن على الأسئلة التاريخية لأن في الإجابة عليها دليلاً على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[7]، وقال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[8].

والملاحظ على الآيات السابقة أنها مكية النزول بحكم وجودها في سور مكية، ومن استقراء الأسئلة المكية نجد أن موضوعاتها تقرير السؤال كمنهج معرفي، وإثبات توحيد الله تعالى والعلم به وحقه على خلقه، واثبات نبوة الرسل وأنهم بشر ورجال يوحى

---

(1) سورة: الزخرف، رقم الآية (19).

(2) سورة: لقمان، رقم الآية (25).

(3) سورة: القيامة، رقم الآية (6).

(4) سورة: الأعراف، رقم الآية (187).

(5) سورة: طه، رقم الآية (105).

(6) سورة: الإسراء، رقم الآية (85).

(7) سورة: يوسف، رقم الآية (7).

(8) سورة: الكهف، رقم الآية (83).

إليهم، والإجابة على الأسئلة الكونية والطبيعية والتاريخية، وعدم الإجابة على ما لا يقع تحت الحس ولا خير في العلم به من الغيب، وأنَّ جل الأسئلة المكية من الكفار والمشركين وأهل الكتاب.

2 ـ السؤال التشريعي:

ومن استقراء السؤال المدني ـ في الغالب ـ نجد أولاً أنه من المسلمين والمؤمنين، وموضوعه معرفة الأحكام الشرعية، فهو سؤال خلقي وأدبي وتشريعي يستوضح معاني العبادة العلمية والعملية بما يفيد وينفع حياة المؤمنين الاجتماعية والاقتصادية وعما أحلَّ من المأكل والمشرب وغيرها، ومن آدابه أن لا يسأل عن أشياء إن تبدَ لهم تسؤهم، قال الله تعالى:

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾... ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾... ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ..﴿١٨٩﴾ ﴾... ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ..﴿٢١٥﴾ ﴾... ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ ...﴿٢١٧﴾ ﴾... ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ..﴿٢٢٠﴾ ﴾ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ..﴿٢٢٢﴾ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ

---

(1) سورة: البقرة.

(2) سورة: الأنفال، رقم الآية (1).

(3) سورة: المائدة، رقم الآية (4).

لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

القرآن إذ يستعمل السؤال منهجاً معرفياً في بيان الحقائق وكشفها، فإنه يميز بينهما إن كانت فكرية أو تشريعية، حتى يكون فقهاً ومنهجاً يتبع في معرفة المواقف وتحديد المسؤوليات، ولذا فإن المنهج المعرفي يطرح السؤال والجواب في مكانه وزمنه الصحيح، وغايته إقامة البينة على الناس وتحذيرهم من المعارف الضارة والأسئلة السيئة، ومعلوم أن السؤال هو نصف العلم، وميز البحث الفلسفي عن غيره[2].

منهج الاعتبار:

الاعتبار منهج معرفي قرآني معتبر، قال علامة اللغة ابن فارس هو من العبر ومعناه: النفوذ والمضي في الشيء، يقال عبرت النهر عبوراً.. والاعتبار والعبرة مقيسان من عبري النهر،.. قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[3]، كأنه قال: انظروا إلى من فعل ما فعل فعوقب بما عوقب[4]، فهو أشبه بالقياس العقلي.

1 ـ الاعتبار الفكري:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[7].

---

(1) سورة: المائدة.

(2) انظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، الدكتور: طه عبدالرحمن، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2002، ص 18.

(3) سورة: الحشر، رقم الآية (2).

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 730.

(5) سورة: الحشر، الآية رقم (2).

(6) سورة: النور، رقم الآية (44).

(7) سورة: الأنعام، رقم الآية (66).

2 ـ الاعتبار القصصي التاريخي:

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

الاعتبار الفكري: هو الوصول إلى الرأي الصحيح من خلال المشاهدة والتجربة، مثل النظر والتفكير بما هو مشاهد من أحداث كونية، وهو أشبه بالمنهج التجريبي الذي يستخلص النتائج من المشاهدات والتجارب العملية، مثل مشاهدة تقلب الليل والنهار وبناء مفهوم عقلي عن علاقة حركة الشمس بالنهار وحركة القمر بالليل، ومشاهدة ما يخرج من بطون الأنعام من سقاء للإنسان، لا يتم تفسيره إلا بالتفسير العقلي.

أما الاعتبار التاريخي: هو معرفة ما حل بالأمم السابقة من نتائج حسنة أو سيئة، إما بمشاهدة الآثار القديمة أو بقراءة التاريخ، وكلا الاعتبارين الفكري والتاريخي يعود بقراره إلى الإنسان نفسه، ونظره وتفكيره، فالإنسان هو من يبني النظريات العلمية عن الطبيعة أو عن التاريخ، وفي الحالتين لا يلغي الاعتبار إرادة الإنسان ولا حريته، بل يحترمها ويقدرها ويجعلها قوية وواثقة، ولذلك كان الاعتبار من المناهج التي دعا إليها القرآن الكريم صراحة، ووظفه القرآن الكريم كثيراً عن طريق القصص القرآني المكثف.

منهج البرهان:

البرهان من مناهج القرآن المعرفية الأساسية، وبالأخص في مجال الفكر والثقافة والمحاججة العقلية، فاحتج بهذا المنهج المعرفي كثيراً على الناس وعلى أهل الكتب السابقة في السور المكية التي كانت تناقش الملل والنحل والمعتقدات الباطلة، حتى نستطيع القول بأن كل سورة فيها: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، هي سورة مكية، أي إنَّ المنهج المعرفي البرهاني من مميزات السور المكية التي لم يذكرها العلماء من قبل.

---

(1) سورة: يوسف، رقم الآية (111).

(2) سورة: هود، رقم الآية (120).

إن المنهج المعرفي البرهاني منهج معرفي وعقلي وعلمي، استعمله القرآن الكريم في تحدي معارف الناس وعقولهم وعلومهم، وقيل: هو أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة [1]، فهو المطالبة بالدليل العقلي المقنع أو الدليل النقلي الملزم، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.. ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[6].

1 ـ البرهان العقلي:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾[7].

وقال تعالى في سورة الفرقان المكية: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[8].

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[9].

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 121.

(2) سورة: النمل، رقم الآية (64).

(3) سورة: القصص.

(4) سورة: الأنبياء، رقم الآية (24).

(5) سورة: المؤمنون، رقم الآية (117).

(6) سورة: البقرة، رقم الآية (111).

(7) سورة: يس، رقم الآية (68).

(8) سورة: الفرقان.

(9) سورة: الشعراء، رقم الآية (28).

وقال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾[2].

البرهان العقلي يتناول القضايا المحسوسة والمدركة للحواس والعقل الفطري والمكتسب، وهو مما يتوافق عليه الناس من معارف ومدارك ومعان دون إنكار، مثل كبر الإنسان وهرمه ونكوسه، فهذه آية مشاهدة من الناس كافة ولا ينكرها أحد، ولذلك عدت آية عقلية، وكذلك الآيات العقلية الأخرى.

2 ـ البرهان النقلي:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[3]، والبرهان هنا الدليل الذي تقوم به الحجة التامة، وقد كان القرآن الكريم ولا زال حجة بذاته لذاته، فهو برهان منزل من عند الله تعالى، لأنه حجة بذاته، ومصدقاً لما بين يديه.

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾[5].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[6]، في هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف جمع للبرهانين معاً: برهان الدين أو الدليل النقلي وهو ميثاق

---

(1) سورة: الأنعام، رقم الآية (67).

(2) سورة: القصص، رقم الآية (60).

(3) سورة: النساء، رقم الآية (174).

(4) سورة: القلم.

(5) سورة: الأحقاف، رقم الآية (4).

(6) سورة: الأعراف، رقم الآية (169).

الكتاب، والبرهان العقلي معاً، وكلا البرهانين العقلي والنقلي حجة للإنسان وعليه، وبالرغم من قوته في الحجة إلا أنه قوة معنوية يلتزم بها الإنسان طواعية، أي لا يعمل بها الإنسان كرهاً، وإنما عن قناعة عقلية وعن إرادة حرية معاً.

منهج التذكير:

التذكير منهج معرفي قرآني كثير الورود في السور القرآنية، بل لا تكاد تخلو منه سورة قرآنية، لما له من دور معرفي وعلمي بتذكير الإنسان ما لا يعرفه أو ما ينساه أو ما يغيب عنه، وهو إما تذكير خاص بالمقربين من المذكر، وإما تذكير عام للناس جميعاً بل أعم.

1 ـ التذكير الخاص:

قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾[3]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[4].

2 ـ التذكير العام:

قال الله تعالى في سورة القلم المكية: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾[5].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾[6].

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[7].

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾[8].

---

(1) سورة: الأعلى.
(2) سورة: الذاريات، رقم الآية (55).
(3) سورة: العنكبوت، رقم الآية (51).
(4) سورة: الأعراف، رقم الآية (2).
(5) سورة: القلم.
(6) سورة: المزمل، رقم الآية (19).
(7) سورة: ق، رقم الآية (45).
(8) سورة: الغاشية.

ومعلوم بالضرورة أن منهج التذكير لا كراهة فيه ولا قهر ولا إجبار، فهو منهج معرفي محض، بل فيه كل الاحترام للإنسان المذكر أو الناس المذكرين والحرص عليهم والنصح لهم، والناس أمامه أحرار في اتِّباع التذكير أو رفضه أيضاً.

منهج الدعوة:

كلمة الدعوة من أكثر الكلمات الإسلامية المستعملة في مضمار نشر الإسلام، بل إن كل من يعمل للإسلام قد يأخذ اسم الداعية ويتصف به، أو يوصف به رغماً عنه، وهذا غير دقيق بصورة دائمة، لأنه غير موافق لمعنى الدعوة في القرآن الكريم، بل ينبغي تقييد كلمة الدعوة بالمعايير الشرعية، فهي منهج معرفي قرآني، وهي وظيفة نبوية معظمة، فلا يتصدر لها إلا بالشروط الشرعية، حتى لا يساء إليها ولا للإسلام، وبالأخص من الأفراد المتحمسين أو المقلدين لفعل الدعوة دون تربية أو تأهيل.

إن دراسة منهج الدعوة كمنهج معرفي قرآني يظهر أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة الدعوة إلا في حق الأنبياء والرسل، أي إنَّها وظيفة نبوية بإطلاق، بدليل اقترانها بالأنبياء أولاً، وبدليل أنها جاءت بالصيغ اللغوية الفردية وهي تتحدث عن مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ثانياً، بينما استعملت مرة واحدة فقط في حق غير الأنبياء والرسل بالصيغة اللغوية الجماعية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1]، ومن معاني ذلك أن وظيفة الدعوة انتقلت من الأنبياء والرسل بالصورة الفردية إلى الأمة الإسلامية بالصورة الجماعية، لأن هذه الأمة قد خلفت الأنبياء والرسل بعد ختم النبوة، ويستدل على ذلك بأن الآية المذكورة مدنية، بحكم المناسبة التنزيلية والتاريخية لسورة آل عمران المدنية، وقد تحقق وجود الأمة القادرة على وظيفة الدعوة علمياً وعملياً، وهذا يعني أن هذا المنهج المعرفي القرآني تقوم به الأمة المسلمة جماعة، وفق نظام دعوي شرعي.

1 ـ الدعوة بالحكمة:

تبين لنا من قبل أن الحكمة منهج تعليمي، كما جاء في وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وقلنا عن الحكمة هي الامتناع عن القبائح والمفاسد والشرور وكل الأخلاق الذميمة، ولذا أمر الله تعالى أن تكون الحكمة أول خطوة

(1) سورة: آل عمران، رقم الآية (104).

بالدعوة إلى سبيل الله، بمعنى أن يحرص الداعي على الأخلاق الحميدة قبل الشروع في الدعوة إلى الإسلام، وأن يمتنع عن الإساءة إلى من يدعوهم، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1].

الدعوة بالحكمة دعوة إلى تجنب الأفعال المحرمة والأقوال القبيحة من قبل الداعية أولاً، وعدم الاعتداء على من يدعوهم بالقول أو الفعل القبيح ثانياً، وأن يبدأ دعوته بمطالبة المدعوين أن يمتنعوا عن فعل الأشياء القبيحة ثالثاً، أي قبل أن يدعوهم إلى فعل الأشياء الحسنة، ولكن أهمها النهي عن أي فعل فيه إساءة للآخرين، وبالأخص من يتوجه إليهم بالدعوة، فالتزام الداعية بالأخلاق الحميدة مع الآخرين واحترامهم يؤهله للقيام بالخطوة التالية وهي الوعظ، وهو منهج معرفي في إعطاء المعلومة بلطف ولين ومودة.

2 ـ الدعوة بالموعظة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[4].

منهج الفرقان:

منهج الفرقان يعني حرية المعرفة مهما كانت، وحق المعترض أن يقول رأيه دون رهب أو خوف، بل وهو آمن على نفسه من عواقب رأيه، فهو أعلى درجات حرية الرأي في الإسلام، وبغض النظر عن هوية قائله.

---

(1) سورة: النحل، رقم الآية (125).

(2) سورة: يوسف، رقم الآية (108).

(3) سورة: الشورى، رقم الآية (15).

(4) سورة: الحج.

مفهوم الفرقان لغة هو التمييز بين أمرين: (فرق: الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين) [1]، وهما بالنسبة للقرآن الكريم التمييز بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، وسبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وهو بالنسبة للحق إثباته، وهو بالنسبة للباطل إزهاقه ودحضه، قال الله تعالى في سورة آل عمران المدنية: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ [2]، إشارة إلى أن سورة آل عمران سترد على أقوال أهل الكتاب في قصة مريم والمسيح عيسى عليهما السلام، وأكثر ما ظهر منهج الفرقان في السورة التي تحمل اسم هذا المنهج وهي سورة الفرقان المكية، التي كثيراً ما تناولت أقوال الذين كفروا وعرض أرائهم، ومن ثم تجيب عليها بما يقنع ويكفي ويشفي:

1 ـ فرقان دحض الباطل:

قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾.. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾.. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(1) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1418هـ، 1998م، ص 843.

(2) سورة: آل عمران.

لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

وهكذا عرض القرآن الكريم في فرقانه أقوال الذين كفروا وأقوال الظالمين والذين ضربوا الأمثال وغيرهم، أي عرض أقوال المعارضين بكل حرية، ثم أجاب عليها، فكان جواب الفرقان عليهم كاشفاً عن بطلان حجتهم، وأثبت أنهم كانوا بأقوالهم ضالين عن الحق، وفاقدين للسبيل القويم.

2 ـ فرقان الإثبات للحق:

قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾.... ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمٗا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴿٧٧﴾ ﴾.

في هذه الآيات الكريمة كان الفرقان هو بيان الحقيقة وسبيل عباد الرحمن وهو سبيل المؤمنين، دون إهمال لأقوال المعارضين ولو كانت باطلة، وليس أكثر من ذلك حرية في التاريخ الديني أو التاريخ الفكري، فمن يحتفظ بأقوال المخالفين له، ويعرضها على الملأ دون خوف ولا حرج، بل ويجعل منها قرآناً يتلى ويتعبد بتلاوته، وهو في مهاجمة القرآن ومهاجمة الرسول والمسلمين، إن في المنهج الفرقاني القرآني منهج معرفي عظيم، فيه النص

على احترام أراء المعارضين وعرضها دون تحريف، ومناقشتها معرفياً وعقلياً وعلمياً، والتي أطلق عليها القرآن الكريم «سبيل المجرمين»، كما في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۖ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1]، بما يجعل أهله، أي سبيل المجرمين أول الناس مراجعة له، ومفارقته باختيارهم، ودون إكراه ولا ضغط ولا استبداد.

ويبن المنهج المعرفي الفرقاني أن القرآن الكريم يسمع كلام المعارضين بكل حرية أولاً، ولا يرد عليها إلا بمثلها ثانياً، أي إنَّه يرد على الكلام الباطل بكلام صحيح، وهذا معنى قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾، أي إذا عارضوك بكلام عارضناهم بكلام أفضل منه علمياً، ولم نحاسبهم عليه عملياً، أي إنَّ الكلام يرد عليه بالكلام وليس بالسيف ولا بالسجن ولا بالقتل، بل إن الذين آذوا الله أو رسوله إيذاءً قولياً لم يكن رد القرآن عليهم إلا بالقول فقط، فالذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[2]، لم يأمر القرآن بتعذيبهم وإنما توعدهم الله بالعذاب يوم القيامة، والذين أساؤوا إلى الرسول وآذوه بالقول كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[3]، لم يأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بضربهم ولا بسجنهم ولا بقتلهم، بل رد عليهم القول بالقول، بالرغم من أن تاريخ نزول الآية مدني، بحكم تاريخ نزول سورة التوبة في أواخر العهد المدني[4]، أي والنبي عليه الصلاة والسلام في مرحلة

---

(1) سورة: الأنعام.

(2) سورة: آل عمران، رقم الآية (181).

(3) سورة: التوبة، رقم الآية (61).

(4) انظر: أهمية العلم بتاريخ نزول آيات القرآن الكريم ومصادره، الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، وعمران سميح نزال، نشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الطبعة الأولى، 11428هـ ـ 2007م، ص 61.

التمكين في المدينة المنورة، أي إنَّ الآية ليست مكية حتى تعتبر قبل أحكام القتال والقصاص والتمكين، كل ذلك ضمانة لحرية الكلمة أن تهدر وحرية الرأي أن يقهر.

منهج المجادلة:

المجادلة منهج معرفي مقيد، فقد دعا إليه القرآن الكريم مع من يستعمله من الناس، فالأصل في المنهج المعرفي هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن جادلوك، أي تحول كلامهم معك إلى مزايدة كلامية ومشادة عصبية، فجادلهم بالتي هي أحسن، لأن المجادلة هي التصلب في المواقف، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[1]، ولا يكون التصلب في المواقف إلا رغبة بالغلبة ولو لم يقدم الحجة الكافية ولا الدليل الملزم، أي إنَّ الجدال هو طلب الغلبة بغض النظر عن صحة الدليل المقدم، فمن جادل بغير علم نجادله بعلم، ومن تشدد في موقفه وهو على باطل لا نتشدد في موقفنا معه إلا بالإحسان إليه، وهذا هو معنى المجادلة بالإحسان، فلا يقبل القرآن المجادلة بالمعنى اللغوي من غير أن يوجه المنهج المعرفي المستعمل من الآخر فيهديه ويرشده إلى الحق والصواب، وهو جعل المجادلة طلباً للعلم وليس للغلبة فقط، ولذلك اشترط على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين الجدال بالتي هي أحسن.

1 ـ المجادلة للإحسان:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[4].

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 205.

(2) سورة: النحل، رقم الآية (125).

(3) سورة: المجادلة، رقم الآية (46).

(4) سورة: النساء.

2 ـ المجادلة للغلبة:

قال الله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[4].

من الممكن القول بأن المجادلة للغلبة ليست منهجاً معرفياً، فآية سورة الأنعام تشير إلى أن مصدره شيطاني، وآية سورة لقمان تنص على أنه جدال بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وما كان حاله كذلك لا يوصف بالمنهج المعرفي، ولكن مجال عمله في الشؤون الثقافية، ولذا يوجه إلى المنهج المعرفي القويم، فيشترط عليه أن يكون جدالاً بالتي هي أحسن، ويدخل المناهج المعرفية من باب احترام الآخر ومناهجه المعرفية ولو كانت غير قويمة.

منهج المصالح:

منهج المصالح منهج عملي تطبيقي، وهو لا يدخل في المناهج المعرفية بصورة مباشرة، ولكنه مما له علاقة مباشرة بنتائج المناهج المعرفية، ولذلك من الممكن اعتباره منهجاً معرفياً من جهة تأثير النتائج على مجريات التفكير واتخاذ القرار، وقد احتج القرآن الكريم بهذا المنهج في إثبات بعض المواقف المعنوية أو في دحضها، إما بالدعوة إلى العمل

---

(1) سورة: الحج.

(2) سورة: الأعراف.

(3) سورة: الأنعام، رقم الآية (121).

(4) سورة: لقمان، رقم الآية (20).

الصالح والنافع بالمعنى الدنيوي، أي بما يعود على الإنسان والناس بمنافع مباشرة في حياتهم اليومية، أو بما يدفع عنها بالضرر والخسارة في الدنيا أيضاً، والمثال الأوضح في هذا المجال منهج تحريم الخمر، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾[1]، والإثم أشمل من الضرر، فهو في اللغة بمعنى البطء والتأخر[2]، أي إنَّ الآثم بطيء عن النفع وبعيد عنه.

1 ـ المصلحة في جلب المنفعة:

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾.. ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[5]، وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[7].

---

(1) سورة: البقرة، رقم الآية (219).

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص 59.

(3) سورة: يونس.

(4) سورة: الفرقان، رقم الآية (55).

(5) سورة: الشعراء.

(6) سورة: الأنعام، رقم الآية (71).

(7) سورة: الأنبياء، الآية رقم (67).

2 ـ المصلحة في دفع الضرر:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[3].

في هذه الآيات الكريمة نجد أن المنهج المصلحي منهج قرآني في الاحتجاج على الناس، يتركز على جلب المنافع ودفع المضار، وبالأخص إذا اتخذوا مواقف عقدية باطلة، أو مواقف فكرية خاطئة، فهم فوق مخالفتهم للمناهج المعرفية الصحيحة يخالفون المناهج العملية الدنيوية التي تحقق للناس مصالحهم وصلاحهم، فأي مصلحة للإنسان في تقديس خشبة أو عبادة بشر مثلهم، فالإنسان والناس مطالبون باحترام مصالحهم بالمقياس الدنيوي لأن فيه معاشهم وراحتهم وسعادتهم، فمن لا يحكم المناهج المعرفية الإنسانية فعليه أن يحكم المناهج المصلحية، علماً بأنه لا تعارض بين المناهج المعرفية الصحيحة والمناهج المصلحية القويمة، بل العلاقة بينهما تكاملية، والإنسان هو من يكامل بينهما بحسب علمه وطاقته.

وبالرغم من أن المناهج المصلحية أقل رتبة من المناهج المعرفية، فهي موجودة عند الحيوانات مثلاً، فالحيوان يتجنب ما يضره ويسير نحو ما ينفعه فطرة، إلا أنها عند الإنسان في رتبة مساوية، لأنه لا يمكن الفصل بينهما، بسبب طبيعة الإنسان الفطرية والمعنوية معاً، ولكن الخشية من ظن بعض المسلمين أن المنهج المصلحي منهج غير إسلامي أو منهج غربي، وهذا غير صحيح، بدليل الآيات القرآنية السابقة في الاحتجاج بالمنهج المصلحي

---

(1) سورة: طه.

(2) سورة: الحج.

(3) سورة: المائدة.

الذي يجلب المنفعة ويدفع الضرر، وبدليل الآيات القرآنية الكثيرة التي قرنت بين الإيمان والعمل الصالح، وفي هذه الآيات لا يقال أن العمل الصالح غير دنيوي، بل هو يشمل المنفعة الدنيوية والمنفعة الأخروية معاً.

منهج المآل:

الحديث عن المآل كمنهج معرفي قرآني مهم جداً، فقد يوجد من الناس من يكون جداله موهماً له أنه على حق وصواب، وقد لا يقوى المجادل له بالتي هي أحسن ـ قدر استطاعته ـ أن يقنعه، لا بالحكمة ولا بالموعظة الحسنة ولا بالجدال بالتي هي أحسن، فهؤلاء لا يتوقف الكلام المعرفي معهم عند هذا الحد، بل لا بد من إضافة مناهج أخرى، ومنها منهج الاعتبار وبالأخص الاعتبار التاريخي، الذي يرسم مسار الأمم الناجحة والأمم الفاشلة، فتبين له أن البحث عن الفلاح الدنيوي قرين الحق، والحق قرين المآل الآخروي، ومن هنا يدخل بيان انتفاع الناس من مناهجهم لمعرفة النتيجة التي يؤولون إليها دنيوياً وأخروياً، فمن انتفع بالبشرى القرآنية انتفع بالفلاح الدنيوي، ومن تجنب مآل النذر تجنب العقاب الأخروي، إن الحديث عن البشرى والفلاح منهج معرفي يخاطب العقول والقلوب معاً، والحديث عن النذر والعقاب منهج معرفي يخاطب العقول والقلوب أيضاً، والحديث عن هذه المناهج المعرفية مرتبط بنوع المعتقدات والأفكار الصادقة أو الباطلة، وما تؤدي إليه من مآل دنيوي وأخروي، قال الله تعالى في سورة الإسراء المكية:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

1 ـ مآل الفلاح الدنيوي:

قال الله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ

(1) سورة: الإسراء، رقم الآية (9).

(2) سورة: الزمر.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥٦﴾ .... ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]، قال تعالى في سورة لقمان المكية: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾[3].

2 ـ مآل الفوز الأخروي:

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[4].

في الحديث عن المآل عالج القرآن الكريم كل ما يمكن أن يقع من انحرافات، وبالأخص في معالجة الانحراف الأكبر في حياة الإنسان، وهو الانحراف في العبادة، وهو عندما يخضع الإنسان لقوى لا تستحق العبادة ولا التقديس،، فالقرآن يتحدث عن مآل الحياة بعد الموت، فمن لم ينتفع بالمناهج السابقة سيجد في الغاية التي يؤول إليها، إما إلى حياة ونجاة أبدية أو إلى سوء العاقبة وعذاب مقيم.

هذه بعض أنواع المناهج المعرفية التي أطلقها الإسلام منذ لحظة وجوده، فقد انطلق الإسلام بالمدخل المعرفي الإنساني الأول «اقرأ»، الذي استهل القرآن الكريم النزول به، والذي انطلقت الدعوة الإسلامية به على يد خاتم الأنبياء وأفضل المرسلين محمد بن

---

(1) سورة: الأعراف.

(2) سورة: لقمان.

(3) سورة: المؤمنون.

(4) سورة: يونس.

عبدالله عليه الصلاة والسلام، فالأساس المعرفي والعقلي والعلمي هو الذي أسس للبناء الإسلامي القوي والقويم، للمسلم المؤمن الفرد، وللأمة العربية والإسلامية أمة متعلمة عالمة، وهو الذي مكن الرسالة الإسلامية من الانتشار السريع والقوي في البلاد العربية وخارجها، وهو الذي مكن لها البقاء في كل البلاد التي دخلها والقوميات التي تعامل معها، ما لم تتعرض إلى الاضطهاد ومحاكم التفتيش.

إن عقل المنهج المعرفي القرآني مدخل صحيح لفهم قضايا الإنسان وكيف وبأي منهج عالجها القرآن، فقد يكون عالجَها بالمنهج الحكمي أو المنهج الفرقاني أو المنهج الاعتباري أو ببعضها دون غيرها.

ويظن من لم يدرك المناهج المعرفية القرآنية أن القرآن الكريم لم يعالج هذه القضية أو تلك، وهو في الحقيقة حصر منهج الإثبات كما يتصوره هو لا كما يعرضه القرآن نفسه، ومسألة الحرية هي من هذا الباب وبالأخص حرية الرأي، فقد عرضها القرآن بمناهجه المتميزة، كما سيأتي إن شاء الله، المنهج المعرفي القرآني قائم على حرية المعرفة وحرية الإنسان معاً، والأساس المعرفي هو رهان الإسلام في التغيير والتجديد في كل عصر ومع كل جيل، وهو ما ينبغي تفعيله في الحاضر من أجل التجديد في فهم الإسلام والبناء القوي المنشود.

هذه المناهج المعرفية لا يمكن تحقيقها والعمل بها في الواقع إلا في جو حقيقي من حرية الرأي، وهذا الجو الفكري الحر هو أساس عمل دعوة الأنبياء، فما لم يوجد فلن يتمكن الأنبياء من تبليغ رسالتهم للناس بحرية، وقد بذل الأنبياء جهداً كبيراً، وجهاداً عظيماً، وصبراً طويلاً، دفاعاً عن حقهم في حرية الرأي، ومخاطبة قومهم دون موانع ولا عوائق.

وإذا عمل أي مجتمع بهذه المناهج المعرفية وفي مقدمتها المجتمع الإسلامي فإنه سيوفر نظرياً وعملياً الحرية لأهله، وسيوفر حرية الرأي لأبنائه جميعاً، وستكون هذه المناهج المعرفية من أقوى أدواته في عملية البناء والثبات على الحق والعلم والاستقامة، وستكون في نفس الوقت من أقوى أسلحته في مقاومة الانحرافات الداخلية الفردية والجماعية، وفي مقاومة الغزو الفكري الخارجي بشتى أشكاله وألوانه وأنصاره.